قصة قصيرة

أم صابر.. والليدي ديانا

بقلم: نافذة الحنبلي
الأردن

لفيف من النساء يتحلقن حول برنامج تلفزيوني يعرض فيلما وثائقيا عن حياة الليدي ديانا... ومن منا لا يعرفها؟! فهي الأميرة البريطانية البارعة الجمال التي لاحقتها كاميرات الصحفيين وتقارير المحررين والمبرمجين..

النساء تركن كل ما بأيديهن من فناجين قهوة ومجلات عن الليدي ديانا ليشاهدنها ويرصدن حركاتها..

أم صابر امرأة في منتصف العمر لا زال في وجهها ملامح جمال باهتة، اختفت من عناء التعب والعمل.. تلف شعرها بوشاح أخضر، وتلبس ثوبا فضفاضا يغطي جسدها النحيل.. تسأل جماعة النسوة: أأحضر الفطور أم لا...؟

النساء يسكتنها بـ هش... هش... س... س...، إحداهن تلوح لها بيدها بأن تذهب، وأخرى تضع كفها على فمها قائلة لها اصمتي...

أم صابر وقفت مشدوهة لترى ماذا يحدث.. فوقفت تنظر إلى ما ينظر إليه النسوة، فشاهدت امرأة شقراء ممشوقة القوام تتبختر بفستان سهرة شبه عار مع ابتسامة مثيرة..

أشاحت أم صابر بوجهها، وذهبت إلى المطبخ لتعد ما تبقى إعداده من أصناف الطعام الكثيرة..

وصورة الشقراء في مخيلتها.. تحدث نفسها.. الحمدلله الذي خلقني أم صابر.. ثم تخرج بعد فترة لتستطلع الوضع.. فتراه على نفس الوتيرة، اللهم إلا من بعض التعليقات من هذه وتلك..

سوزي : (تعلق).. فستانها يأخذ الألباب..

لينا : لا .. تسريحة شعرها أجمل، فعندما أسافر إلى لندن في الصيف سأذهب إلى نفس صالون الحلاقة الذي تذهب إليه..

فيفي : إن فستان سهرتها الأزرق الذي قابلت فيه الرئيس الأمريكي سأشتري مثله في عرس أختي (جيجي).

انتهى الفيلم وبدأت النسوة بمناقشة أمور الليدي ديانا وآخر أخبارها العاطفية والنفسية و... و...

أم صابر تقتحم ثانية الصالة، وتحاول فتح فيها، ولكنها تفضل الصمت لأنها عرفت أن الوضع لا يسمح بقطع حديثهن المهم.. إذ سيصرفنها ثانية إلى المطبخ ، وهي قد أعدت كل شيء منذ ساعة..

تجلس أم صابر على كرسي صغير محفور من خشب الزان حيث وضع خلف عمود الرخام الذي يفصل صالة الطعام عن صالة الجلوس.. وأخذ كلامهن باقتحام سمعها...

إحداهن تقطع حديثهن.. آه .. إن آخر ما قرأته مترجما عن الصحف البريطانية أن الليدي المسكينة تتعرض لأزمات نفسية كبيرة فهي تذهب أسبوعيا إلى الطبيب النفسي من أجل جلسات نفسية.. وجلسات أخرى عند ناد رياضي لتهدئة الأعصاب.. وجلسات أخرى لأشهر المنجمين والفلكيين لمعرفة طالعها ومستقبلها.. وجلسات لـ... ولـ.. وهذا يكلفها آلاف الجنيهات الإسترلينية كي تسيطر على هذه الأزمات النفسية..

الجميع (بصوت واحد).. مسكينة كل هذا الجمال يتعرض لهذه الأزمات..

أم صابر تسرح بعيدا بتفكيرها فهي تفكر بأطفالها الذين ينتظرون عودتها لتأتي لهم بما يتبقى من الطعام الزائد، وهي تفكر بزوجها المريض الذي أقعده حادث عمل مؤلم... ينتهي الفيلم وتأتي الأخبار والصور عن البوسنة والهرسك.. و.. و... تطفئ سيدة البيت التلفزيون (بالريموت كونترول) الذي بيدها بتأفف (وهي تتمتم).. أخبار.. أخبار.

يرتفع صوت آذان الظهر من مئذنة المسجد البعيد قليلا عن البيت.. تنتفض أم صابر وتقوم مسرعة لتتوضأ من أجل الصلاة، وما كادت تصل باب الحمام.. إلا وصوت صاحبة البيت يناديها : أين الفطور يا أم صابر.. ماذا تفعلين منذ الصباح.. إنك أصبحت امرأة كسولة وكبرت بالسن..... و.... و.... ■